

فِي ظِلَالِ الْأَيَّامِ

يَوْمَهَا،

كَانَتْ حَيَاتُنَا بَسِيطَةً.

كسرةٌ من الخبزِ،

مغموسةٌ بقليلٍ من الدبسِ،

تَسْنِدُ العَافِيَةِ،

وَشِيءٌ من الحَبِّ،

وَبَعْضٌ من العَضْبِ،

وَلَفَّةٌ فِي الشَّوَارِعِ.

يَوْمَهَا،

كَانَتْ الدُّنْيَا لُغْزاً عَسِيراً

وَالعَالَمُ مَسْحُورٌ.

غَيْرَ أَنَّ العَقْلَ كَانَ جَمُوحاً

وَالرُّوحَ تَوَاقَةً،

يَبْغِيَانِ مَعاً مَا يُمِيطُ اللثَامَ،

مَا يُبِيدُ حَيْرَةً،

يُزِيلُ غُمُوضاً،

وَيُدْرِكُ إِبْهَاماً،

وَيَهْتِكُ سِرَّ المَوَانِعِ.

يَوْمَهَا،

كَانَتْ الأَرْضُ وَاقْفَةً،

وَالشَّمْسُ شَامِخَةً،

والنجومُ راسخةً،
وأقدامنا مثلُ أرواحنا،
مثل تلك التلابيب في الرأس
تظل تدور، تدور،
بعدَ شروقِ شمسِ البحار،
تدور مثل النوارس،
أو كالفخاتي،
تأوي بعد مغربها الى ظلال النخيل.
يَوْمَهَا،
كان يا ما كان،
لا كسل، لا ارتياب، لا ملل،
ولا وَجَل،
لم يكن كايحُ يوقف المسير،
أو جدارٌ من المستحيل
يردع الأمل.
فالخيالُ استعارة،
عن دروبٍ ما لها من رفيق،
والحلمُ استدراكٌ،
لمُبشِراتٍ تُهنّ في مُنعرجات الطريق.
يومها،
كان، ربما لم يكن،
وجاء الذي بعده،
والذي بعد بعده،

تاركين ظللاً فوق دربِ الحقيقةِ،
ناثرين فيضَ أسرارهم بسهم الزمان،
الذي طاش دون ان يُهدِي
سواء السبيل،
وكشفتُ الدليل،
يومها، ران صمتٌ طويل.
يومها،
كسرةُ الخبزِ أضحت لهيباً
ولعاً بين حشايا الضلوع،
ييزغُ زاداً، ودفناً وطاقةً للمسير.
يومها،
الحبُّ أمسى حنيناً،
وفي مملكةِ القلب حلَّ السكونُ،
واللفُّ لم يعدْ في الشوارع،
بل هناك بعيداً،
في المجراتِ السامقاتِ،
حيث نُزِرُ من الولهِ
تَبَقَى في ثنايا الروح،
والكثيرُ من الحسراتِ.
ويومها،
تنوُ بنا المسافاتُ،
ونزدادُ تيهاً فوق تيه،
ويظلُّ عالمنا مثلنا،

مُرتاباً،

تأهلاً في مَوَاسِمِ اللَّائِقِينَ،

وتظلم بنا الأَرْضُ تدورُ، تدور.